الأحرار

١٠ حزيران ١٩٤٨

الاستاذ ميشال شيحا يحاضر عن القيَم الإنسانية للأستاذ رشدى معلوف

جاءت محاضرة المفكر الكبير الأستاذ ميشال شيحا، مساء الاثنين الماضي في الندوة اللبنانية ، أشبه بالشجرة في موسم الإقبال ، مثقلة بالثمار اليانعة الحلوة القريبة الجنى، فهلل الحاضرون وصفقوا وقد استطابوا "نكهة" الجنة لكثرة ما استطاع المحاضر العميق أن يبلور لهم فيها من قيم مثلية، هي بالنسبة الى الحياة العادية كالجنة بالنسبة الى الأرض، أو كالثمرة بالنسبة الى التراب...

وقد ربط "القيم" ربطاً جوهرياً بالإنسان، كأنه أراد أن يشير الى أن القيم التي لا تبني من الإنسان إنساناً ومن المواطن موطناً هي ليست بالقيم التي تعنينا نحن الناس ! ولم يترك قيمة انسانية الا وأبرزها في أكمل ما يمكن أن تحمل من إغراء ، من قيم الحرية الى القيم المنطقية فالأخلاقية فالفلسفية الى الجمالية الى المادية الى السياسية، مستعرضاً في مروره قمم الحضارات كأنها بارزة على الطاولة التي أمامه، فجاءت القيم النظرية المجردة ، وقد جسّدها في تلك القمم، واضحة يكادالمرء يستطيع لمسها، إن لم يكن بأنامل يديه " فبأنامل فكره"، أو بأنامل سحرية يعيره إياها المحاضر الكبير.

ويخرج المرء من محاضرة الاستاذ شيحا وهو شاعر بأن المقاييس الأخيرة قد استعادت مكانتها، على لسان لبناني ما برح اللبنانيون، ولا استثنى أخصامه السياسيين، يذكرون اسمه بالفخر والإعتزاز...

يخرج وقد سمع آخر جملة من المحاضرة تشدد بعد استجلاء القيم على أهمية التوفيق بين التفكير بتلك القيم والتصرف في الحياة، فيقف حائراً بين إخلاص الأستاذ شيحا الذي لا شك فيه، وبين شخصيته التي لا شك في تأثيرها ، وبين ما يشاهده من عدم التوفيق، في كثير من نواحي حياتنا العامة، بين القيموالتصرف!

فبأي منطق نستطيع أن نجمع مثلا بين ذلك التأليه العبقري للحرية كقيمة انسانية، وبين السكوت عن تعطيل الحريات، عند مواطن يدعو الى التوفيق بين المبادىء والأعمال ! وبأي منطق نستطيع أن نجمع بين قوله في المحاضرة عند ذكر القيم الجمالية بأن هنالك اناساً يجهلون تلك القيم ويؤثرون ضجيج الشارع على سمفونيا بتهوفن، وبين سكوته عن محطة إذاعة تحمل، على مئة متر من برجه العاجي، الى لبنان والى العالم يومياً ضجيج الشارع لا سمفونيا بتهوفن !

وأكتفي اليوم بهذين المثلين، لأن المجال مجال إطراء واعتزاز لا مجال مناقشة وعتاب، بعد محاضرة أتت بركة لموسم الندوة اللبنانية الخصب. ولكنني رأيت أن لا بد من ذكرهما للتدليل على أننا، حتى في مجال الإطراء، أو خاصة في مجال الإطراء نعتب على الأستاذ ميشال شيحا ! لأن عتبنا عليه هو بنسبة ما نحن معجبون بإدراكه للقيم الإنسانية التي تحتاج اليها بلادنا، ما دامت طامحة الى تبرير وجودها بين البلدان كصاحبة رسالة انسانية...

والعتب على قدر الأمل كما يقولون في لبنان !...